

مَطَرٌ مُضِيءٌ

زهير أبو شايب

لم نحلمْ كثيراً

لَم يَبْقَ إِلَّا الرَمْلُ
لَا الْأَشْجَارُ تَكْمِلُ ظِلَّهَا لِلنَّامِيْنَ.
وَلَا الْهَوَاءُ يَلْبِسُ حِينَ تَجَسَّهْ أَمْرَاءُ،
وَلَا أَرْوَاخُنَا تَكْفِي...

خرجنا كالفرّاش من الطفولة
واحترقْنَا حَوْلَ نَارِ الْمِرَاةِ الْأُولَى
وَأَشْقَانَا بِحِكْمَتِهِ الرّمَادُ.
كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
فَلَم نَرْضَعْ حَلِيبَ الْأُمّهَاتِ
وَلَمْ نَشْمُ رِوَاخِ الْأَبَاءِ بَعْدُ
وَلَمْ نُكَلِّمْ السَّمَاءَ كَمَا أَرَادُوا.

كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
وُلِدْنَا
وَارْتَجَلْنَا الْمَوْتَ وَالْمَعْنَى وَأَنْفُسَنَا
وَلَمْ نَحْلُمْ كَثِيرًا
لَمْ نَكُنْ فِي الْأَرْضِ
لَمْ نَكْتُبْ عَلَى الْجِدْرَانِ غَيْرَ قُلُوبِنَا

كُنَّا عَلَى عَجَلٍ
كَبُرْنَا كَالسَّوَّاسِ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ
ضَبْعُنَا، وَنَحْنُ أَجْنَةٌ،
أَجْسَادُنَا وَبَيُوتُنَا الْأُولَى
وَهُمْنَا
لَا سَمَاءَ نَظُنُّهَا
لَا أَرْضَ نَحْمِلُ أَرْضَنَا
حَتَّى مَلَأْنَا اللَّيْلَ أَشْبَاحًا
كَبُرْنَا
وَانْحِنَيْنَا فَجَاءَ لِنُوَدِّعَ الْأَشْيَاءَ
قَبْلَ رَحِيلِنَا عَنْهَا
وَلَمْ نَرْضَعْ حَلِيبَ الْأُمّهَاتِ
وَلَمْ يَجِفَّ الطِّينُ حَوْلَ عِظَامِنَا

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الرَمْلُ
حَتَّى الْأَنْبِيَاءُ رَمَوْا نِقَاطَ الضَّوْءِ
وَانْسَجَبُوا إِلَى صُلُواتِهِمْ
حَتَّى السَّمَاءُ مَضَتْ وَلَمْ تَنْتَظِرْ إِلَيْنَا
لَمْ تَكَلِّمْ وَاحِدًا مِّنَّا
وَحَتَّى اللَّهِ لَمْ يَفْتَحْ عَلَيْنَا.

عَمَّان ١٩٩٧م

مَطَرٌ مُضِيءٌ

ثَلَاثَةٌ

إلى طاهر رياض ويوسف عبدالعزيز

ثلاثة أرواحنا

!!!
يا لُغْرِبَتِنَا فِي الظَّلالاتِ
يا لُثُنَاتِ الصُّورِ !!!

غَرَفْنَا مِنَ الطِّينِ أَقْدَامَنَا
وَرَكُضْنَا عَلَى شَعَثِ الْأَرْضِ
أَسْرَى،
وَمُتَشَبِّحِينَ بِأَدْعَائِنَا،
وَسَمَواتِنَا،
وَحُطُنَاتِ الثَّقِيلَةِ،
كَيْ نَسْرِقَ النَّارَ مِنْ عُودِهَا.

وَلَمْ نَذَرْ أَنَّ المَطَرُ.
سَيَسْرِقُنَا فَجَاءَ
وَيُؤَيِّبُ أَقْدَامَنَا
وَيُبَيِّمُ عَلَيْنَا لِهَائِهِ.

ثلاثة أسرى
ثلاثة مُتَشَبِّحِينَ
يَهيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ.
ثلاثة سود غرابيب
تَفْجُرُ الرِّيحُ فِي حَظُومِهِمْ
وَيَهْوِ الثَّرَابُ قَلَانِدَ

مِنْ بَيْنِ أَحْدَاقِهِمْ
حِينَ يَبْكُونَ
أَوْ يَضْحَكُونَ.

صَحَا مَطَرُ الْفَجْرِ
كُنَّا ثَلَاثَةً
نُكْسِرُ صُلُصَلَانَا
وَنُفِرُ بِرِاحَةِ الْأَرْضِ
كَالشَّهْدَاءِ الْمَلِيْقِينَ
كَالصَّافِقَاتِ الْجَيَادِ.
وَلَمَّا صَحَا مَطَرُ الْفَجْرِ
نُبْنَا

وَلَمْ نَذَرْ أَنَّ المَطَرُ.
سَيَسْرِقُنَا فَ